الثقافة الورقية

في زمن الإعلام الرقمي

محمد بن عبد الله القاضي



●● حمد بن عبدالله القاضي

● من مواليد محافظة عنيزة بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
● نشأ وتعلم فيها حتى حصوله على الشهادة التوجيهية.

●● المؤهلات العلمية:-

● شهادة الماجستير تخصص" أدب عربي"- القاهرة.

●● الوظيفة الحالية:-

● عضو مجلس الشورى بموجب الأمر الملكي بتاريخ ١٤٢٢/٣/٣هـ.
● أمين عام مجلس أمناء مؤسسة الشيخ حمد الجاسر الثقافية الخيرية.

●● الخبرات العملية:-

● عمل مديراً عاما للعلاقات العامة والإعلام بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية.
● عمل ملحقاً ثقافياً بوزارة التعليم العالي.
● رئيس تحرير المجلة العربية حتى عام ١٤٢٨هـ.
● رئيس اللجنة الثقافية والإعلامية والشباب بمجلس الشورى.(١٤٢٥- ١٤٢٦هـ)، ونائب رئيس اللجنة الاجتماعية والأسرة والشباب بالمجلس حالياً.

●● الإنتاج الثقافي:-

● صدر أول كتاب له بعنوان "الشيخ حسن آل الشيخ الإنسان الذي لم يرحل" ثم أصدر كتابه الثاني"أشرعة للوطن والثقافة"، ثم أصدر كتابه الثالث: "رؤية حول تصحيح صورة بلادنا وإسلامنا" ثم أصدر كتابه الرابع "غاب تحت الثرى أحبّاء قلبي" في طبعتين.

● العنوان: الرياض ١١٤٩٩ – ص.ب ٤٠١٠٤ المملكة العربية السعودية – هاتف ٤٥٦٢٢٠٦ – ف ٤٥٦٥٥٧٦
● البريد الالكتروني: hamad.alkadi@hotmail.com
●الموقع على الشبكة: http://halkadi.net/

الثقافة الورقية

في زمن الإعلام الرقمي

حمد بن عبدالله القاضي



يطلب هذا الكتاب من دار القمرين للنشر والإعلام
هاتف: ٠١٤٥٦٢٢٠٦ - فاكس: ٠١٤٥٦٥٥٧٦
الرياض - طريق الإمام سعود - شرق جمعية الأطفال المعاقين
ص.ب ٤٠١٠٤ - الرياض ١١٤٩٩
info@alqamarain.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القمرين، ١٤٣٢ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي ، حمد بن عبدالله

الثقافة الروقية في زمن الإعلام الرقمي../ الرياض، ١٤٣٢هـ.

٤٨ ص ، ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٣ـ٣٠١٦ـ٠٠ـ٦٠٣ـ٩٧٨

١ ـ نشر الكتب ٢ ـ الكتب الإلكترونية

أ. العنوان

ديوي ٣٠١,٢٤٣ ١٤٣٢/٤٧٤٨

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٤٧٤٨

ردمك: ٣ـ٣٠١٦ـ٠٠ـ٦٠٣ـ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

•• هذا الكتيّب مهدىً إلى محبي ومؤثري « الكتاب المطبوع » والمشفقين عليه نساء ورجالا في عصر ثورة الاتصالات ، وتنوع مصادر المعرفة ••

• حمد •

• • •

•• الأسلاف وعشق المعرفة :

• أتوقف في مستهلّ هذه المحاضرة عند حب الأسلاف «للكتاب» حبا كبيرا يصل إلى درجة العشق عند بعضهم، وذلك من وحي قناعتهم أنه مستودع معارفهم وسلوة أيامهم، فضلا عن أنه لا يوجد ما يصرفهم عنه ، وقد ولد المؤرّخ ياقوت الحموي في مكتبة ومات في مكتبة ، والإمام أحمد بن حنبل كان عندما يزوره ضيوف يجلس معهم ويؤنسهم ويتحدث معهم ولكنه كان يشغل يديه بتجهيز الأوراق والمحابر، والعالم إسماعيل القاضي روي عنه أنه ما رؤي إلا ومعه كتاب، و «قصص الوراقين» - وهو مصطلح قديم يطلق على «الكتاب والأدباء» الذين عشقوا الوراقة ـ كثيرة وجميلة جدا، وقد كانت محصلة هذا العشق للحرف أنه أينع في حياتهم وحياة غيرهم ثمرات طيبة وإبداعات مزهرة.

وكم تنبت من شجرات الحسرة في نفوس عاشقي الكتاب عندما

نرى- في هذا الزمن المعتل الآخر- هوان الكتاب وإعراض كثير من الناس عنه ، وجفاءهم له ، لكن ما يريحنا كثيرا أنه لا يزال وسيبقى عشاق للكتاب يأنسون بالسفر بين سطوره، وتهنأ نفوسهم عند احتضان أوراقه، وقد جسد ذلك أحد عشاق الكتاب عندما جعل من الكتاب « محبوبا » له لا يستغني عنه، ولا يعيره، أو يعطيه أحدا، لقد وضع على باب مكتبته الأثيرة لديه لوحة جميلة كتب عليها هذا البيت الجميل كجمال عيني الحبيب لدى العاشق، وكسحر سطور الكتاب لدى هذا الأديب الشاعر:

((ومحبوبي من الدنيا كتاب
فهل أبصرتَ محبوباً يعار))

وأعرف عددا كبيراً من المسئولين ورجال الأعمال على الرغم من مشاغلهم الكثيرة فإن القراءة تبقى عزيزة لديهم، والكلمة المطبوعة مرافقة لهم في أسفارهم.

ومن يحب الكتاب لا يسلوه مهما كانت مشاغله واسألوا عشاق الكتاب ولا ينبئكم مثلهم.

•• لماذا سوف يبقى الكتاب المطبوع؟

سيبقى الحرف المطبوع والكتاب المقروء ؛ لأن الكتابة هي الحقيقة الأبقى ولقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذه الحقيقة (ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) الإسراء ٩٣ ، فضلاً عن الارتباط الوجداني بالكتاب الورقي إحساساً وعناقاً والتصاقاً..!

يروى أن الخليفة هارون الرشيد دخل على ابنه المأمون وبين يديه كتاب يطالع فيه فسأله الرشيد: ما الذي بيدك فقال المأمون: - وهو أحد عشاق الكتاب الذين يعرفون قيمته وجدواه - (بعض ما تشحذ به الفطنة ويؤنس به من الوحشة).

وقصة أخرى ترسخ مكانة الكتاب تلك هي قصة الفضل بن سهل عندما دخل على المأمون وطفقا يتجولان في بساتين دمشق فقال له الفضل: هل رأيت - يا أمير المؤمنين - أجمل من هذه البساتين فقال المأمون: ((أجمل منها كتب تجلو الأفهام أو تسر القلوب وتؤنس الأنفس..!)).

وقد صدق فالأنس الأعمق والأبقى والأوفر ارتياحاً هو الذي تبعثه عوامل الروح وحوافز الوجدان وليس - فقط - مظاهر المادة وزخرف المظاهر..!

••رسالة الكلمة ومسؤوليتها :

• حسب الكلمة مسؤولية الرقابة الإلهية عليها حيث يقول البارئ- سبحانه و تعالى - في تحديد دقيق لهذه المسؤولية: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} وفي السنة الشريفة قول كريم يشي ويشير إلى خطورة الكلمة حيث يقول الرسول

السلام - : (إن المرء ليقول الكلمة لا يلقي لها بالا تهوي به سبعين خريفاً في النار) ، ويقول القائد صلاح الدين : ((والله ما فتحت البلاد بسيفي ولكن فتحتها برسائل القاضي الفاضل)) - وهو غير المتحدث بالطبع -.!!

•• الثقافة في صحافتنا :

كانت صحافتنا ثقافية ، بل أدبية خالصة ، وكانت الصفحة الأولى في صحفنا تحوي قصائد ومقالات أدبية وقصصا ، ثم جاءت مرحلة الملاحق المتخصصة ، والمجلات الثقافية والعلمية.

وقد كان الناس صغيرهم وكبيرهم يتابعون كثيرا الصحافة الأدبية والكتاب بشكل عام ؛ وذلك - بالطبع - لقلة المغريات الصارفة - وأنا أرى أن مجتمعنا السعودي لم يبلغ الدرجة من العزوف عن الكتاب إلى درجة الشفقة عليه ، وانظروا كثرة

وانتشار المكتبات التي تحوي أنفس الكتب ولو لم تكن ناجحة لتم إغلاقها ، وهناك مقولة لأحد الناشرين : ((الكِتاب يؤلف في مصر ، ويطبع في بيروت ، ويقرأ في السعودية)).

والحق أن في القراءة متعة لا يظفر بها إلا من يجد المتعة وهو يدير أهدابه بين جدائل الكتب ، يقول الشاعر محمد بن عثيمين في بيت جميل :-

((جعلت سميري حين عزّ مسامري * دفاتر أملتها العقول النوابغ))

إن الذي يحرم متعة القراءة يحرم - في تقديري - من أحد متع الحياة الجميلة.

فضلاً عن أن للقراءة أثراً باقياً - وليس طائراً - على رؤية الإنسان للحياة واستلهام تجارب الآخرين للإفادة منها في

اتخاذ قراراته ومواجهة مشكلاته.

يقول الأديب الفرنسي " أندريه جيد ": ((عندما تعيد الكتاب إلى الرف ثانية بعد قراءته تأكد أنك لن تكون الشخص نفسه بعد قراءته)).

وقد صدق..!

وهذا يعني أن للقراءة سلطة ذات تأثير قوي لها أبلغ الأثر في قناعات الإنسان في هذه الحياة ومساره فيها ، وبالتالي فإن على الإنسان أن يكون دقيقاً فيما يختار وفيما يقرأ ويطالع ويقتني من الكتب والمطبوعات.

•• السؤال الأهم: هل لدينا ثقافة تستحق القراءة والتصدير ؟:

• منجزنا الثقافي - في تقديري - متزامن مع المنجزات الأخرى أو بالأحرى لعله مقارب لها ، إننا نرى أن هناك عشرات المجلات والصحف التي تطبع وآلاف الكتب التي تصدر ، والكثير من القنوات الثقافية ، ولولا وجود ((زبائن)) لها وتوافر القاطفين لحصادها لما صدرت هذه الكتب ولما وزعت هذه الصحف والمجلات ، وعلى الرغم من عمرنا الحضاري الثقافي القصير في هذا المنجز إلا أننا أنجزنا شيئاً جيداً ، ونحن ماضون بخطى حثيثة لنكون في زمالة وندية مع أكثر الدول تعلماً وثقافة.

يبقى أن هذا المنجز الثقافي يحتاج إلى دعم ومساندة مادية ومعنوية ومن يطلع على المنتج الثقافي السعودي يحس أن بلادنا ليست بلاد نفط ومدن إسمنتية فقط ، ولكنها وطن

حضارة وثقافة وإنسان يعطي ويبدع ، ألم يقل القصيبي في بيت شعري جميل وصادق :

((نفط يقول الناس عن وطني *

ما أنصفوا وطني هو المجد))

•• القراءة وأثر الوسائل الإعلامية الحديثة.

• نعم وسائط المعرفة الحديثة في زمن ثورة الاتصالات والشبكات العنكبوتية والقنوات الفضائية لها تأثير في صرف بعض الأحداق عن الكتاب والكلمة المطبوعة لكن في ظني ليس هناك شيء يلغي شيئا ، فثقافة (الإنترنت) مهمة ، ولكن الكلمة المكتوبة ستبقى ، وثقافة الفضائية لا تنفي ثقافة الكلمة المقروءة ، إن كل واحد - في تقديري - يكمل الآخر.
إن ميدان التنافس هو أن تقدم شيئاً يستحق المتابعة سواء أكان

مقروءاً أم مشاهداً أم مسموعاً ، ففي ميدان القراءة قدم كتاباً جيداً وسوف تجد له قراءً ومتابعين كثر ، وليس أدل على ذلك من كتاب «حياة في الإدارة» للدكتور غازي القصيبي فقد حقق أكبر نسبة مبيعات على الرغم من طباعته في عصر (الإنترنت) والفضائيات ، وكذا كتاب « أي بني » للدكتور : عبدالعزيز الخويطر الذي وزع منه الكثير ، وكتاب الداعية عائض القرني (لا تحزن) الذي وزع في داخل المملكة وخارجها بأعداد كبيرة جداً وغيرها كثير.

إنني من متابعة ميدانية وليس من منطلق عاطفي أقول: إن الكتاب الجيد والكلمة المكتوبة سوف يبقيان ، وليس هناك شيء يأخذ مكان شيء، فالمذياع بقي على الرغم من ظهور التلفاز وانتشاره ، والتلفاز استمر على الرغم من وجود «الإنترنت» وهكذا. وتبقى ميزة للكتاب أنه لا يحتاج إلى أجهزة وأسلاك وكهرباء ، وتستطيع أن تقرأه وأنت قائم أو

قاعد أو مستلق ، وتستطيع كفاك وعيناك أن تحتضنه وأنت في الأرض أو في السماء ، فضلا عن أن قراءة كتاب ذي صفحات كثيرة عبر شاشة « الإنترنت » صعبة للغاية ، ولذا نجد شيوع مصطلح « تصفح » الإنترنت ولا يقال قراءته.

أما من جانب منافسة « الشاشات الأرضية والفضائية » فإن كثرتها جعلت من العسير على الجالس أمامها متابعة ما يبث فيها ، وهذه « الكثرة » رجحت الكفة لصالح الكلمة المقروءة ذلك أن القنوات الفضائية جعلت الإنسان لا يركز في مشاهدته للشاشة بل ينتقل عبر « المحرّك الآلي » ثم في النهاية يسأم ويدع الشاشة مفتوحة كيفما اتفق..!

ثم ألا يكفي أن قراءة صحيفة أو مجلة خلال دقائق تختصر له ما يدور في عالمه ومجتمعه ، وتكون أحفظ لوقته وأسلم لعينه وأوفر ارتياحاً لنفسه.

أجل إن التعامل مع الكلمة المطبوعة أيسر جهداً وأكثر جدوى فضلاً عن أنها تحمل توثيقاً للمعلومة ، ناهيك عن الارتباط العاطفي بين القارئ والكتاب سواء للكبار الذين عاشوا حياتهم معه ، أو الصغار الذين تعاملوا معه عبر مناهجهم ومدارسهم.

إن هذه العلاقة حميمة ، تماماً كما هي العلاقة بين حضن الأم ولهفة الطفل.

العلاقة بالكتاب علاقة تاريخ وحضارة وجذور، يقول أحد عشاق الكتاب الأستاذ الشاعر : هاشم الجحدلي : ((مازلت مؤمنا برغم كل صيحات الإحباط ، ودعاوى التشاؤم ، بأن المستقبل للكتاب ، برغم كل وسائل الاتصال ووسائط المعلومات. فالعلاقة بالكتاب ليست علاقة مع النص فقط ، ولكنها علاقة روحية تتجذر عميقا في روح ويقين الإنسان

منذ أقدم عصور البشرية. ترى ما الذي يجعل بعضنا ينادي بقتل الكتاب ، بالكتاب والنار فقط استطاع الإنسان أن يكتب تاريخ البشرية على هذه البسيطة)).

***

• وفي إحصائية رسمية موثقة لوزارة الثقافة بالمملكة العربية السعودية تم نشرها جاء فيها أن عدد المطبوعات ما بين صحيفة ومجلة التي توزع في أسواق ومكتبات المملكة بلغ عددها (١٦٠٠) مطبوعة وكل مطبوعة في هذا الرقم توزع عشرات الآلاف من النسخ.

وينهض هنا سؤال مهم ومقنع : لو لم تجد هذه المطبوعات قراء ومتابعين لها لما تم طبعها وتوزيعها وبيعها وتحقيق الربح المادي منها ، إن المسألة هنا ـ بلغة أهل الاقتصاد ـ

مسألة عرض وطلب..!

لكل هذا ولأكثر منه أجزم أن الكلمة المطبوعة باقية ، ليس لمجرد أن هذا حلم عاشق أو أمنية حالم ، بل لأن هذه حقيقة ، يقول أحد كبار المسئولين عن شركات توزيع المطبوعات ، مدير عام الشركة الوطنية للتوزيع بالمملكة أ. محمد الخضير عندما سئل في حوار صحفي بمجلة اليمامة بتاريخ ١٤٢٥/١٢/٢٥هـ : ((هل الثقافة المكتوبة بانحسار بعد الفضائيات ومواقع « الإنترنت » فأجاب قائلا: ((تُصاعُد أرقام التوزيع تنفي هذه المقولة ، والدليل أن مبيعات الشركة من المطبوعات زادت عام ٢٠٠٤م عن العام الذي قبله)).

•• أما أكبر دليل فهو هذا الإقبال الكبير الذي يزداد عاماً بعد عام على معارض الكتب العالمية كمعرض ((فرانكوفرت الدولي للكتاب)) ، وما نراه في بلادنا من الإقبال كل عام على معرض الرياض الدولي الأخير للكتاب حيث شهد المعرض

الماضي ١٤٣٢هـ زيادة ابتياع واقتناء الكتب ، بل نفاد عدد كبير من الكتب في الأيام الأخيرة، حيث بيع بالمعرض مئات الآلاف من الكتب خلال مدة المعرض المحدودة.

أقف أخيراً للدلالة على استمرار الكتاب الورقي ووهجه ما قرأته بصحيفة ((الحياة)) بتاريخ ١٤٣٠/٦/١٦هـ حيث قال مدير عام إحدى أكبر المكتبات بالمملكة ((مكتبة العبيكان)) أ.عبدالله البطحي: ((أن المكتبة تنشر كل عام (٤٠٠) ألف عنوان كتاب جديد)) ، بمعنى أنها تنشر كل يوم كتاباً جديداً بل أحياناً كتابين جديدين على ضوء هذا الرقم ، وهذا ما أكده أ/ فهد العبيكان مالك هذه المكتبة.

لو لم يكن هناك قراء هل سيكون هناك مثل هذا الإقبال ومثل هذا الاقتناء ؟

•• إنه ليس بعد الأرقام من حقائق..!

أمر آخر يعضد هذه الحقائق : هو أن ثورة الاتصالات - في ظني - ستخدم الثقافة المطبوعة والكتاب المقروء وستساعد على نشرهما ، والتعريف بهما واقتنائهما ، وليست حربا عليهما ، وقد بدأنا نسمع عن «الكتاب الإلكتروني» ، ونتابع ونشاهد بعض البرامج الثقافية عبر بعض الفضائيات ، وجلها تتجه إلى ترسيخ الثقافة ونشرها، والحفز على القراءة والاطلاع ، وأينما تمطر فخراجها لأرض القراءة وإثراء الفكر.

لكن الذي نخشاه ألا تقدم هذه الوسائط: الثقافة الجيدة ويستمر - الكثير منها كما هو السائد الآن - في تقديم التفاهات وثقافة التهميش - إن صحت التسمية - عبر الفضائيات ومنتديات « الإنترنت » ، فتشغل المتلقين -

وبخاصة الأجيال الجديدة - بمتابعتها ، وتصرفهم عن الثقافة الجادة والجيدة. وانظروا إلى كثير من الفضائيات ، وتصفحوا أغلب مواقع وساحات ومنتديات «الإنترنت» وسوف تقفون على حقيقة ما أقول.

تبقى مسألة مهمة وهي: « توثيق المعلومة » الموجودة على مواقع «الإنترنت» أو ما يسمى (النشر الإلكتروني) ، هي في أغلب المواقع - وبخاصة الشخصية التابعة لكاتب أو باحث أو شاعر - ، لا تحمل طابع التوثيق أو التدقيق ، لأنها منتج قابل للتعديل أو التغيير في أي لحظة من قبل صاحب الموقع ، سواء أكان باحثا أم دارسا أم شاعرا أم عالما، بخلاف الكتاب المطبوع الموثق بطبعته وزمنه المطبوع عليه، والذي تستطيع أن ترجع إليه اليوم أو بعد مائة عام.

• • •

حقيقة أخرى : هو أن القراءة عبر شاشة الحاسب مملة للنفس، مرهقة للعينين، وأقول هذا عن تجربة ، ولذا تلاحظون - كما أشرت سابقاً - أن القراءة عبر « شبكة المعلومات» تسمى تصفحا ولا يطلق عليها اسم «قراءة» ؛ لأنها لا تحقق الإحاطة والعمق وترسيخ المعلومة.

مرة أخرى هذا لا يعني إطلاقا نفي تلك الجدوى العظيمة التي قدمتها ووفرتها وسائط المعرفة الجديدة لكل باحث بل ولكل إنسان من خلال كم تلك المعلومات الثرة في كل شأن..!

لكن القضية : قضية تكامل وإفادة وتنافس بين ما تقدمه شاشة الجهاز ، وصفحة الكتاب وشبكة «الإنترنت» ، وكل إنسان يختار الفضاء الذي يرغب أن يحلّق فيه ، تماما كما ينام الإنسان على الجانب الذي يرتاح إليه.

وفي كل الأحوال لا يعني كثرة وسائط المعرفة التقاطع بين الخيارات بقدر ما يعني التوافق بين أهداف هذه الوسائل ، والمحصلة هو إثراء المعرفة وسهولة الوصول إلى المعلومة وتوثيق المادة المقدمة.

• • •

•• العلاج بالقراءة :

لقد قرأت بحثا علميا جيدا للباحثة الوراقية أ/ فوزية الجلال أسمته (توصيف الأثر الكتابي)، وقد أشارت فيه إلى ((أنه في بعض مستشفيات الغرب هناك ما يطلق عليه «عربة الكتب» وهي تدور بين غرف المرضى - كما تدور عربات الغذاء- وكل مريض يأخذ الكتاب الذي يرغب فيه حيث يجد فيه - وهو في غرفته - ما يؤنسه ويثقفه، بل ويسهم في علاجه)).

والعلاج بالقراءة حقيقة قائمة أثبتها القرآن الكريم قبل أن يثبتها الغرب: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة} الإسراء- الآية ٨٢.

يقول أحد علماء النفس عن أثر القراءة في المساعدة على الشفاء:

« إن العلاج بالقراءة هو أسلوب جديد لتهيئة المناخ والظروف لمناقشة أبعاد المشكلة التي لا يمكن مناقشتها دون القراءة ، ربما بسبب الخوف أو الخجل أو الشعور بالإثم ، وبمساعدة المعالج يمكن مساعدة المريض على التعبير عنها من خلال المادة القرائية الموصوفة لحالته ».

ان القراءة بغض النظر عن جدواها الثقافية هي نوع من الترفيه الذي يكون محصلته الراحة والسعادة ، يقول الباحث أ.

صلاح الشهاوي في بحث لطيف لـه عن القراءة نشرته مجلة المعرفـة فـي عـددها رقـم (١٣٥) : ((النـاس يلجـؤون للكتـب للقراءة ، يتسلون عن مصائبهم حتى رأينا المنصور يطلب من يسليه بالشعر ، فقد جاء في كتاب قصص العرب ((لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ومضى الناس أجمعون معه ، ثم دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، أقبل على الربيع فقال : يا ربيع انظر من ينشدني ويسليني بقصيدة ((أمن المنون وريبها تتوجع)).

وقد سبق كل بحوث ونظريات العلاج بالقراءة الشاعر العربي: قيس بن الملوح ، قبل أكثر من ألف عام عندما قال:-

((وما أشرف الايفـاع إلا صبابةً

ولا أنشد الأشعـار إلا تداويا))

وقد صدر لباحث معروف هو أ. شعبان خليفة كتاب يحمل اسم ((العلاج بالقراءة)).

•• التقنية حفزت على القراءة :

لقد أشرت سابقا إلى أنه لا تعارض بين القراءة عبر الورق أو من خلال صفحات «شاشة الانترنت».. فقد شجعت وسائط المعرفة الجديدة على القراءة وحفزت عليها وبخاصة الناشئة والشباب فأصبحوا ينكبون على «الانترنت» يقرؤون أو يتصفحون - كما هو التعبير الأكثر شيوعا- يبقى - مع الأسف- أن أغلب ما يتم التوجه إلى قراءته عبر هذه الشبكة سواء من قبل الكبار أو الصغار مضيع للوقت دون جدوى، حيث التوجه إلى قراءة «مواقع معينة» تجد الإقبال الكبير عليها،

والاندفاع نحوها حال الدخول إلى غابات هذا العالم المعلوماتي الحر ، وهذا هو الفرق بين اختيار الإنسان لكتاب أو مطبوعة معينة للقراءة يخرج منها بحصيلة معرفية جيدة ومفيدة وباقية ، أو أن تكون كل الفضاءات مفتوحة.. وأمامه الصالح منها والطالح على حد سواء ، لكن الكثيرين يتوجهون نحو الأكثر إثارة وإن كان أقل جدوى وربما الأوفر ضررا - فليس كل قراءة مفيدة.!

• • •

•• كيف نجعل الناس - وبخاصة الجيل الجديد - يقبلون على القراءة ؟

• أشير أولا إلى حقيقة تقول : إنه من أبلغ سبل تفوق الإسلامية على الحضارات السابقة في عصور سالفة هو عنايتها بالفكر والعقل ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق البحث والترجمة والقراءة التي توسع مدارك الأمم والأفراد وتفتح فضاءات العلم والمعرفة واستشراف المستقبل أمامهم،

وتجعلهم يحيطون علماً بتجارب وحضارات غيرهم ليفيدوا منها ، ويضيفوا إليها.

إن المغريات التي تصرف الجيل الجديد عن القراءة كثيرة ، لكنا لن نيأس من البحث عن الوسائل لتحبيب القراءة إليهم وإغرائهم بها ، وإقناعهم بجدواها ومتعتها ، وأهم السبل إلى ذلك : أن نسعى لتقديم العطاء الثقافي والعلمي الجدير بالتسويق الجيد، والحافز على معانقة الحرف.

إنه كما يجب علينا توفير الغذاء المادي لأبنائنا وللأجيال الجديدة، فإن علينا أن نوفر الغذاء الفكري لعقولهم، وأن نحرص على إيجاد (مكتبة منزلية) فيها مختلف الكتب التي تحفزهم على القراءة وليس لمجرد التجميل واستكمال عناصر

المنزل فقط ، إن التحدي الذي يواجهنا حالياً أن القراءة كما تقول الأديبة أميمه الخميس: ((عادة مكتسبة)) لذا لا بد أن نحاول غرسها بداخل أطفالنا في مرحلة مبكرة من أعمارهم.

وقد قال الأديب العربي : فوزي عطوى مقولة صادقة : ((ويل لبيت مطبخه أكبر من مكتبته)) ! وقد صدق.. لأن هذا يعني الاحتفاء بالبطون وإهمال العقول.! وكيف يتم النجاح لإنسان معطل العقل ؟! وكيف لأمة أن تحقق أهدافها وهي بمنأى عن عطاء الفكر الذي يمنحها القدرة على الإبداع والخلود. والغريب أنه على الرغم من أن أسلافنا وأجدادنا كانوا عاشقين للقراءة، وعن طريقها بنوا حضارتهم ، وسبقوا العالم في العطاء الفكري والاجتماعي والطبي ، فإننا الآن «شوفة عيونكم» كما يقول التعبير الشعبي ، وقد حل أبناء الغرب محلنا في عشق القراءة فسبقونا في منظومات البناء ، والاكتشاف والإبداع الحضاري والعلمي.

لقد قرأت آخر إحصائية عن القراءة في بريطانيا تم نشرها في عام ٢٠١٠م جاء فيها بالأرقام : ((إنه في عام ٢٠١٠م تم طباعة أكثر من (٢١) ألف كتاب جديد بينما في العام الذي سبقه تم إصدار خمسة عشر ألف كتاب جديد أي بزيادة ٤٠% عن عام ٢٠٠٩م)) مما يعني إقبال القارئين وزيادة أعدادهم هناك إلى الضعف على الرغم من تقدم ثورة المعلومات وتقنيتها ، ووجود وسائل الترفيه لديهم ، ولكن عندهم كل شيء له وقته ، وله حقه.

بل حتى على مستوى قراء الصحف والمجلات في العالم تؤكد الإحصائيات زيادتهم، ففي بحث موثق نشره رئيس قسم الصحافة والنشر بجامعة سيتي بلندن عام ٢٠١٠م : أوضح أن نسبة عدد قراء الصحف في العالم ازدادت وبخاصة في الدول ذات الكثافة السكانية مثل الهند والصين.

•• أما في العالم العربي.. فماذا عندنا ؟

انظروا إلي الناس والشباب كيف يقضون أوقاتهم ، أو كيف يضيعونها بالأحرى دون أدنى عملية توازن بين الجدية والترفيه ، وبين تفاهة الأشياء وإثراء العقل ، وكم شدني الكاتب د/ محمد الكثيري وهو ينعي في مقالة نشرها في صحيفة الاقتصادية عام ١٤٢٦هـ عن حال (الكتاب المقروء) والهجر غير الجميل له في ربوعنا وربوع بني يعرب عندما كتب مقارنا ومتألما مثل صاحبكم ، وقد جاء فيها:-

«تأمل كيف يقضي المسافرون أوقات الانتظار في مطار مثل مطار الملك خالد في الرياض، أو الملك عبدالعزيز في جدة، أو الملك فهد في المنطقة الشرقية، أو غيرها من المطارات المحلية الأخرى المنتشرة هنا وهناك؟ إن الوقت في الغالب الأعم يُقضى في الثرثرة عبر الجوال حتى يخيل إليك أن جميع أولئك المسافرين ليسوا سوى رجال أعمال أو مسؤولين

حكوميين كبار. في المقابل تأمل المشهد ذاته في مطار هيثرو في لندن وأو جي إف كينيدي في نيويورك ، أو مطار مونتريال في كندا ، أو غيرها من المطارات العالمية المنتشرة في الكثير من الدول والعواصم الغربية تجد العكس، حيث ينغمس الكثير في القراءة والاطلاع على كتاب أو مجلة أو صحيفة)).

ولن أقول تعليقا على هذه المقولة ـ وبكل شجن ـ إلا : لقد صدقت.!

بقي أن أقول إن الاحتجاج بشح الوقت ليس صحيحاً ولكن القضية قضية تنظيم، ولو خصص المرء وقتاً محدوداً ولو قصيراً جداً لخرج بحصيلة جيدة من القراءة، وأورد هنا إحصائية دقيقة بالأرقام أعدها وأوردها أ. زيد الواكد في مقالة نشرها بصحيفة "الجزيرة" تؤكد أن أي وقت مهما قصر عندما يخصصه الإنسان للقراءة تكون ثمرته عدداً كبيراً

من الكتب في العام، وهذه الإحصائية التي تكشف عن مفاجأة جميلة في عدد الكتب التي يكون الإنسان قرأها آخر العام: «لو قرأت بواقع ربع ساعة يومياً ولو كانت قبل خلودك للنوم، ستكون حصيلة قراءتك أسبوعياً حوالي ساعتين أي بواقع ثماني ساعات شهرياً بمجموع قدره ست وتسعون ساعة سنوياً أي ما يعادل قراءة ٣٠ كتاباً في العام إذا افترضنا أن قراءة الكتاب بمجمله قد استغرق منك من (٣- ٤) ساعات، فهل رأيتم ماذا صنعت الربع ساعة تلك؟».

• • •

وبعد: لن أوغل في المبالغة ولن أتوغل في التفاؤل وأراهن على أن الكتاب المطبوع سيبقى الأوحد في فضاء المعرفة، ولكنني أراهن على أنه سيبقى أحد أهم روافد المعرفة الموثقة من جانب، ومن جانب آخر سيظل سابقا ولاحقا «خير جليس» ينبت شجرات المعرفة،ويؤنس في عتمة الحياة،ويسكب رحيق

العطاء في حقول الأفئدة.

لقد سئل أحد الحكماء : « ما بلغ سرورك بكتبك فأجاب هي أن خلوت متعني ، وإن اهتممت سلوتي ، وإن احتجت للرأي فمنجدي».

و« زبدة » القول.. كما يؤكد « الواقع » وتكشف عنه رغبات الناس ، وكما أوضحتُ في هذه الورقة : أنه لا تقاطع إطلاقا ما بين « الثقافة المطبوعة » و «الثقافة الإلكترونية» و«الثقافة الفضائية» ، فكل راغب في المعرفة يتلقاها من «النبع» الذي يرد إليه ، ويرتاح له ، ولكل وجهة هو موليها، فلنستبق «رحيق الكلمة» من أي سبيل نرتئيه.

•• ختاماً :

رائعون هم أولئك الذين يرون أن من أجمل الأوقات لديهم هي تلك التي يكونون فيها بين أحضان الحرف ، أولئك الذين يجدون أن من أمتع رحلاتهم تلك الرحلة التي يسافرون عبر أشرعتها بين أهداب الكلمات..!

أرجو أن أكون وفقت فيما حبرت.

و : -

((إن كنت قد عبّرت عما دار في خلدي

فما رميت ولكن الإله رمى))

كما يقول الشاعر العثيمين :

وإلى الملتقى عبر شراع حرف أو قارب كتاب.

•• أصــــداء ••

•• بعد نشر أبرز ما تناولته هذه المحاضرة وعرض مقتطفات منها في بعض الصحف وبعد أن أرسلتها إلى بعض أحبة أعرف هيامهم بالكتاب، تلقيت أصداء أغلبها تتفق مع ما ورد فيها حول بقاء الحرف المطبوع لكنها تشفق عليه خشية من أفول نجمه أو انطفاء وهجه، فضلا عن الحوار الجيد الذي دار بين حضور نادي الأحساء من مثقفي ومثقفات الأحساء والمحاضر.

•• لقد كان أبلغ هذه الأصداء هذه الرسالة المؤثرة أو بالأحرى "المقالة" البليغة التي بعثها إليَّ معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد بوصفه مثقفاً ومربياً وعاشقاً للكتاب، ويسرني أن أنشرها في نهاية هذا "الكتيب" لتكون الختام "المسك" الذي لا يضاهيه إلا مسك رائحة الحبر، وأريج عطر الحرف، وعبق أنفاس الحب.

((وخير جليس في الزمان كتاب))

د. محمد بن أحمد الرشيد (*)

•• أخي الوفي الصديق الكريم الجواد/ حمد بن عبدالله القاضي

عضو مجلس الشورى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كدأبك في كل الزمان جواد.. وكما عرفناك في كل الأمور مجدداً واعياً سعدت بحق حين قرأت نص محاضرتك القيّمة : ((الثقافة المطبوعة بالزمن الفضائي)) والتي ألقيتها في نادي الأحساء الأدبي..

(*) المربي والكاتب المعروف/ وزير التربية والتعليم السابق.

بنهم، وتأمل، وتلذذ، قرأت هذه المحاضرة.. بل كأني أراك وأسمعك أمامي وأنت تلقي أصوب الأفكار، وتؤكد أعظم الحقائق؛ وهو بقاء الكتاب – الكتاب المطبوع.. المطبوع في أوراق.. وليس على أقراص مدمجة، أو منشور على صفحات الهواء في الإنترنت.. أو غير ذلك من المستجدات.. التي لا ينكر أثرها.. لكنه الكتاب الحقيقي المطبوع.. قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) "سورة الأنعام آية٧".

• • •

•• أصبت الهدف.. وسبقتني بقول الحق.. فهذه الحقيقة هي الأصل الذي لا مراء فيه.. فالكتاب المطبوع المقروء هو الحقيقة التي تحمل كل الحقائق الأخرى.. جاء الكتاب ومادته (ثلاثمائة وعشرين) مرة في القرآن الكريم.. مما يؤكد أن الكتاب هو الأصل..

قال تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) "سورة العنكبوت آية ٤٨" إشارة إلهية إلى أن الكتاب الحق هو ما يكتب بالخط – وقال تعالى : (أم لكم كتاب فيه تدرسون) "سورة القلم آية٣٧ " هو الكتاب أصلا للقراءة.. للدراسة، والتعلم، والثقافة.. وقال تعالى : (ولن نؤمن لرقيّك حتى تُنزّل علينا كتاباً نّقرؤه) "سورة الإسراء آية ٩٣".. نقرؤه.. لا نشاهده مرئياً على الشاشة الصغيرة أو من خلال الشبكة الكبيرة.. ولهذا قال تعالى : (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) "سورة سبأ آية ٤٤ ".

لقد أصبت الحقيقة حين قلت: إن الارتباط الوجداني بالكتاب الورقي ارتباط إحساس، وعناق، والتصاق.

● ● ●

أخي الأستاذ الكريم:

نسي من ينادون بتحويل الكتب من الورق، والطباعة إلى الصفحات، والغرف الهوائية، والتلفازية، والأقراص المدمجة.. أنهم أخذوا كل ذلك من الكتاب المطبوع.. إن هم غيَّروا الثياب فالجسم الأصلي باقٍ.. كلهم يمتاحون ما ينشرون مسموعاً أو مرئياً من المورد الثابت، الكتاب.

وإني لموافق لك في أن القراءة زاد وثراء.. ويصدق ما نقلته عن الأديب أندريه جيد: (عندما تعيد الكتاب إلى الرف ثانية بعد قراءته تأكد أنك لن تكون الشخص نفسه بعد قراءته)، وقد تأكدت هذه الحقيقة أكثر من مرة وآخرها فيما قاله الأستاذ/ رجاء النقاش في الكتاب الذي ألفه وأصدرته جريدة (الرياض) عن المرحوم أستاذنا عبدالعزيز التويجري،

قال النقاش : (انتهيت من قراءة كتاب التويجري عن المتنبي في أيام قليلة، ولم أكد أغلق الكتاب حتى أدركت أنني دخلت الكتاب مع المتنبي وحده، وخرجت منه في صحبة اثنين، هم المتنبي والتويجري).

حقيقة راسخة.. هي بقاء الكتاب المطبوع.. أو الصحيفة أو المجلة المطبوعة أصل المعارف، ومورد الثقافات.. ومنها تنوعت الصور التي تقدم فيها المعارف، وتصدر بها الثقافات فإن الكتاب الورقي المطبوع هو الأصل.. والأصل ثابت، والحقيقة باقية. ثم كيف ننسى أن الكتاب هو أقدم وأول ما عرفت البشرية من وسائل العلم والمعرفة.

أستأذنك في إضافة بعض ما قاله العلماء، والمشاهير والشعراء، وفيه يؤكدون عظمة الكتاب المطبوع وأنه العلم، والخبر، والصديق، والمربي، والوفي، والفخر، والزينة.

قال شوقي :

أنا من بدل الكتب الصحابـــا

لم أجد لي وافياً إلا الكتابـــا

صاحب إن عبته أول لم تعب

ليس بالواجد للصاحب عابا

صحبة لم أشْكُ منهـــا ريبة

ووداد لم يكلّفني عتابـــــا

ويقول في مكانة الكتاب المطبوع :

غال بالتاريخ فاجعل صفحـــــة

من كتاب الله في الإجلال قابا

قلّب الإنجيل، وانظر في الهدى

تلق للتاريخ وزناً وحسابـــــا

وصدق المتنبي حين قال :

أعز مكان في الدنيا سرج سابح

وخير جليس في الزمان كتاب

•• هذا ليس في ثقافتنا.. بل الدنيا كلها تشهد للكتاب المطبوع المقروء بالقيمة التي لا تساويها قيمة.

قالت (اليزابيث براونج) : (الكتاب هو المعلم الذي يعلم بلا عصا.. ولا كلمات، ولا غضب، إن دنوت منه لا تجده نائماً، وإن قصدته لا يختبئ منك، إن أخطأت لا يوبخك، وإن ظهر جهلك لا يسخر منك).

ومثلها (كيث) يقول: (غرفة بلا كتب كالجسد بلا روح).. وهنا أقول: يكفي الكتاب المطبوع فخراً أن كل عظماء الناس من مختلف الرتب والمناصب يحرصون أول ما يحرصون عند تأثيث بيوتهم، ومكاتبهم أن تكون هناك غرفة فخمة للمكتب

.. وأن تقتني فيها الأعداد الكبيرة.. والنوادر الموروثة.. حتى وإن كان صاحبها لا يقرأ.. لكنه الكتاب مظهر الفخامة والفخار، والمكانة الاجتماعية.

وإذا ضاع الكتاب ضاعت معه الحضارة.. وطمست المعرفة.. قال (راي برادبوري) : (ليس عليك أن تحرق الكتب لتدمر الحضارة، فقط اجعل الناس تكف عن قراءتها.. يتم لك ذلك).

وقال آخر : (الجريمة الأخطر من حرق الكتب في عدم قراءتها).

هكذا الكتاب.. بناء حضارة ورقي أمة.. أقول ما قلته أنت يا صديقي : (الكتاب المطبوع المقروء.. ففي الكتاب المطبوع تطالع عقول الرجال، وتمضي حيث وقفوا، وتنطلق من حيث انتهوا).

•• لكنك أثلجت صدري بما ذكرته عن ازدياد بيع الكتب المطبوعة، ولدينا في المملكة عدد من المكتبات الوطنية العامة تحتوي على ملايين من الكتب التراثية والحديثة.. واذهب يوماً إلى مكتبة الملك فهد الوطنية أو مكتبة الملك عبدالعزيز العامة أو مكتبات الجامعات ستجد عدد المترددين كل يوم يزيد.. مما يؤكد ثبوت الحقيقة، وهي أن الكتاب المطبوع هو الأصل للعلم، والمصدر الحقيقي للثقافة والمعرفة.

ويؤكد ذلك ما أشرت إليه من أن لدينا كتباً مؤلفوها من أعلامنا، وأقلامنا المعاصرين طبعت عدة طبعات لشدة إقبال القراء على شرائها، وما كان منذ شهور في المعرض السنوي للكتاب، وبكم مليون اشترى الناس كتباً، إلا دليل قاطع على تميز الكتاب المطبوع وتفوقه على كل ما سواه من وسائل النشر.

•• إننـا لا ننكـر أثـر التقنيـات الحديثـة، كالحاسـب الآلـي، والإنترنت، والأقراص المدمجة وشتى الوسائل العصرية، لا ننكر فضلها في حفظ المعارف وصيانة التراث.. بل وسهولة حملها، ورخص الحصول عليها.. قرص مدمج واحد، أو تشب يحتوي مئات من الكتب، ومئات الألوف من أبيات الشعر.. والثمن لا يساوي ثمن كتاب صغير.. لكن الكتاب هو الأسبق.. وهو الأمتع.. وهو الأبقى.

ومع تطور التقنيات في بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية إلا أنـي شديد الذهول بكثرة المكتبات التجارية، مثل سلسلة: (بـارنز ونوبـل)، وسلسـلة: (بـوردر) إذ تجـدها فـي البلـدة الصغيرة.. والقرية النائية، وبفروع متعددة.. بل إنـي فـي كل زيارة لإحدى هذه المكتبات أقف طويلاً لأسدد ثمن الكتب التـي اخترتهـا.. وقد تكون أكثر من حملي أحياناً.. الكتـاب إغراء، وله إعجاب يدفعك إلى اقتـنائه مهما غلا ثمنه.. فما فـيه أغلى

من كل ثمن، كما لا أنسى أنه حين يعلن عن وقت إصدار كتاب لمؤلفه سمعة مرموقة فإنك تجد الطوابير المتزاحمة لساعات عديدة أمام المكتبات التي تتولى بيعه. والكتاب الذي نقرؤه.. هو الذي يشملنا ويسيطر علينا.. ففيه عقولنا تفحص، وفي صوره عيوننا تنتقل.. ومن ثماره ثقافتنا تتغذى، وبما تغذينا منه أقلامنا تكتب وتؤلف. (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) "سورة الإسراء آية ١٤ ". سوف يكون الحساب بالكتاب.. فالأصل هو ما سجل فيه من كل لفظ، وإن كانت معه المشاهدة والمناظرة حين تنطق الأيدي بما فعلت، والأرجل بما مشت إليه.. فكأنني أرى في مخترعات العصر أساساً سابقاً في الحياة.. وإن تطور وأخذ صوراً جديدة في البث والإخراج فإن لها أصلاً – كما للكلام أصل في الكتاب.

لكم شكري وتحياتي على سبقكم بكل جديد.. وتحياتي لكم على إهدائكم الكريم.

أخوكم المحب

محمد بن أحمد الرشيد



يطلب هذا الكتاب من دار القمرين للنشر والإعلام

هاتف: ٠١٤٥٦٢٢٠٦ - فاكس: ٠١٤٥٦٥٥٧٦

الرياض - طريق الإمام سعود - شرق جمعية الأطفال المعاقين

ص.ب ٤٠١٠٤ - الرياض ١١٤٩٩

info@alqamarain.com

.. ضــوء ..

•• بنهم، وتأمل، وتلذذ، قرأت هذه المحاضرة.. بل كأني أراك وأسمعك أمامي وأنت تلقي أصوب الأفكار، وتؤكد أعظم الحقائق؛ وهو بقاء الكتاب – الكتاب المطبوع في أوراق.. وليس على أقراص مدمجة، أو منشور على صفحات الهواء في الإنترنت.. أو غير ذلك من المستجدات.. التي لا ينكر أثرها.. لكنه الكتاب الحقيقي المطبوع.. قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) "سورة الأنعام آية "٧".

أصبتَ الهدف.. وسبقتني بقول الحق.. فهذه الحقيقة هي الأصل الذي لا مراء فيه.. فالكتاب المطبوع المقروء هو الحقيقة التي تحمل كل الحقائق الأخرى.. جاء الكتاب ومادته (ثلاثمائة وعشرين) مرة في القرآن الكريم.. مما يؤكد أن الكتاب هو الأصل.

د. محمد بن أحمد الرشيد

ردمك : ٣- ٣٠١٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

مطابع سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض